كتبهم ومصنفاتهم ، واتحفونا بمقالاتهم ورسائلهم ، من خاصة وعامة ، مما يدل على كرم سجاياهم ، وطيب اعراقهم وعنصرهم ، ويكشف عن حبهم لمؤازرة الادباء سراً وجهراً . ونوجه اطيب ثنائنا واعطره الى اولئك الذين تبرعوا علينا بنضارهم ، مساعدينا في نفقاتنا ومخففين ما اخذنا على نفسنا من العبء الثقيل الباهظ . نعم اننا وان كنا لا نستطيع ان ننشر اسماءهم الآن خوفاً من ان نمس ارق شواعرهم ، الا انه لابدّ من ذلك يوماً ريثما تنكشف الاسرار وتنهتك السرائر ، فيعطى كل ذي حق حقه ، وكل ذي فضل فضله .

وقد رأى القرآء من تزاحم اقلام كتاب هذا القطر وغيره ان كثيراً من الابحاث والمطالب تأخرت عن اتمامها ، اولم تبرز الى عالم الوجود ، مع اننا كبرنا حجم المجلة وزدنا صحائفها مؤملين تحقيق بنات الصدور ، لكن لما كان مبدأنا ان نفضل مقالات ارباب الاقلام على نفثات قلمنا ، — إظهاراً لما في ابناء العراق من روح التعاون ، وصدق التناصر ، والاخلاص في حب التسابق والتنافس ، في ميدان العلم والادب ، — بقينا في مقرنا الاول كاتنا لم نجرِ شوطاً ، على اننا ابرزنا ما كان في نيتنا من محض الخدمة وكفى بذلك شاهداً على رغبتنا في التقدم والتبسط وحق لنا ان نقول :

ولي في غنى نفسي مراد ومذهب * اذا انصرفت عني وجوه المذاهب .

صفحة من تاريخ خليج فارس

Une page d'histoire duGolfe Persique.

كثر الكلام ، في هذه الايام ، عن خليج فارس وعن رسوخ قدم الانكليز فيه وفي ثغور أقاصيه وادانيه ، فوضعنا هذا المقال ، مجاراة لمقتضى الحال :

موقع خليج فارس من احسن المواقع ان للتجارة وان للمحاربة وان لتنازع الامم للبقاء . وكل امة افلحت فى تسيير سفنها فى مياهه، افلحت ايضاً فى رقيها وعمرانها وحضارتها . ولهذا أصبح هذا البحر منذ اقدم الازمان مطمح ابصار الاقوام والاجيال والفريسة التى تخاصم عليها اقواهن لتزدردها وتقر بها عيناً وتسعد بها نفساً . وهذا الامر الذى لم يخف على امة خلت، لم يخف ايضا على دولة انكلترة التى تتربص الفرص لمد جناح سطوتها على بلاد الله . لاسيما اذا قدرت ان تصل الى منيتها اوضالتها نهباً، اوبدون ان تريق قطرة دم من دماء ابنائها الشرفاء ، بل الذين هم اشرف خلق الله على زعمها .

اجل . ان ملكة الانكليز اليشباع (اليزبت) لما اذنت سنة ١٥٩٩ م لشركة الهند ، ان تنشئ محلات تجارية فى ديار الهند طمح للحال بصر تلك الدولة الى خليج فارس، مع ان قدمها لم تكد تستقر فى الهند تمام القرار، ولم تكن بعد بمى فى قبضتها . لكن كيف الوصول اليه والبرتوغاليون كانوا قد نشروا اجنحة سطوتهم على ذلك الخليج منذ اواخر القرن السادس عشر ؛ وكانوا قد ظهروا فيه بعد ان طاب لهم المقام فى اقطار الهند وجعلوا ساحل بحر فارس كما جعلوا ريف بحر الهند ميداناً ينزله فرسان مفتتحيهم، فيأخذون من البلاد والثغور والموانى مايروقهم ، ويضربون صفحاً عما لايحظى فى عيونهم الطامحة ؟

اما علو شان هذا الخليج وخطورته فى ابصار البرتقاليين والانكليز فظاهر من تسارع شخوص بصرهم اليه، بعد ثبوت قدمهم فى بعض ديار اقطار الهند، لعلمهم يومئذ ان لا قرار لدولة غربية فى بلاد الهند ان لم تقبض بيدها مفتاحها الذى هو خليج فارس، وماعلى سواحله من الثغور المتراصة المتناسقة المتفاوتة الارتفاع ارتفاع درج السلم البعيد المراقى . هذا فضلا عن ان تجارة الهند لاتنفق ولا تروج ان لم يحافظ على تأمين الطريق التى ترسل فيها اى طريق البحر الفارسى وتنفضها من الغزاة الذين يعيثون فيها كل العيث .

هذا وفى العهد الذى اكتشف رأس الرجاء الصالح كانت تساق بياعات الهند الى ديار الغرب على البحر وعلى بحر العجم . وهو الطريق التى كانت معروفة منذ اعرق الازمان فى القدم . اذ كانت ترد من تلك الربوع النائية على السفن الكبار فتتشاط سواحل ديار الفرس . ثم ترسو فى مانسميه اليوم شط

العرب » .— واول الذين عرفوا هذه الطريق الطبيعية التي لجها البارى هم اول من عرفهم التاريخ باسم « الامم الكبار » اى اولئك الذين انشأوا نينوى وبابل ثم سلوقية وطيسفون ولما دثرتها ما ان الحضر ثم جاء العرب القروم فعرفوا ديار الهند ومجازها وابتنوا البصرة وبغداد . فقامت لهم يومئذ دولة ضخمة فخمة تضارع اعظم دول التاريخ واضخمها بل تصارعها صراع الابطال، اصغار الرجال . ففي عهد زهو دولة العرب، كما في ابان القرون الخالية، كنت ترى ثياب الحرير والاستبرق، الفلفل والقرنفل، الدارصيني والجوز بوا، الهال والزعفران، الصدف والعاج، الدر والمرجان، الميعة والصمغ، المصطكى واللبان، المر ودهن البان، البخور والعطور، وغيرها من حاصلات الهند ومما جاورها من الديار والجزر، من قريبة ونائية، من ثغور بلاد السيلى الى جزيرة العرب وتبعث كلها بغلاتها لتستجلب بدلها الزجاج والرصاص، الحديد والنحاس، الاسرب والقصدير التي كان يؤتى بها من ديار الغرب .

وكانت تنقل هذه السلع والبضاعات من بغداد الى قلب المشرق الادنى: الى دمشق والاسكندرية الى موانى الشام والديار المصرية، التي كان فيها يومئذ محلات تجارية زاهرة زاهية، عائدة الى البيزيين والفلورنسيين، الى البنادقة والجنويين . لا بل بعد ان عرف طريق افريقية البحرى، واكتشاف معبر او منفذ يودى الى ربوع الهند ماراً برأس الرجاء الصالح، بقي الطريق الاول طريق خليج فارس على علو كعبه طول القرن السادس عشر وبعض القرن السابع عشر، ولما ذهب شئ من شأنه عند معرفة التجار الطريق الثاني، دام المسلك الاول نهجا عظيما، نهج تجارة الهند وديار الروم، بل لم يزل اب كل نهج تنهجه جميع الدول التي تمد يدها من الديار الآسوية الى الديار الاوربية وبالعكس . وداوم التجار الايطاليون ولاسيما البنادقة منهم والقطلونيون على انفاذ اموالهم ومبيعاتهم على القوافل التي تجتاز بوادى الشام وصحارى بين النهرين يجلبون من ديار الهند والسند والصين وزابج (جاوة) جميع ما يحتاج اليه القريبون من اثمار وغلات الارجاء الحارة فيصعدونها على متن شط العرب الذى كان يعرف يومئذ عند اجدادنا « بدجلة العوراء » ومنه على ظهر الفراتين ومنهما الى ربوع مملكة العرب التي صارت بعد ذلك من ديار سلطنة آل عثمان .

اما سبب بقاء طريق خليج فارس لنقل بياعات الشرق الى اهل الغرب مع وجود غيره فهو لان هذا النهج كثير السهولة يسير الركوب جم المنافع ، وليس فيه من الاهوال ما في اخيه الثاني الحديث السن . هذا فضلا عن ان السفن البحرية لا تحتاج في المهيع الاول الى ان تقتحم العباب وغمراته كما في اللحب الثاني ، بل يكفيها ان تتشطط السواحل الواحد بعد الآخر من الهند الى دجلة العوراء ، فتصيب الغرض ، بدون ان تصاب بعرض .

وهذا لا يتضح لك صدقه الا اذا نظرت رعاك الله الى هذا الخليج وانعمت النظر في تقوير الطبيعة اياه وكيف ابرزته على مثال غريب عجيب . فان الجوارى المنشآت اذا غادرت ارياف الهند صعدت شواطئ ديار البلوص (بلوچستان) ودخلت بحر عمان ثم قاربت شطوط بلاد العجم الى موضع تكاد فيه بلاد ايران تصافح بلاد العرب وهو الموضع الذى يعرف عندهم باسم « الراس المسنن او المسنم » في مضيق هرمز . وكأن العرب لم يحبوا ان يمدوا ايديهم الى الايرانيين لما بين عنصريهم من العداوات القديمة ترى بلاد العرب توغل في الماء كانها تنفر نفور الشادن من وجه العدو فيأكل البحر شيئاً من ارضها مع ان بلاد فارس تحاول دائماً التقرب منها متحببة لها وكأنها تقول لها : تعالى الى ولا تهربي مني فاننا ان تعاونا نصبح حرزاً حريزاً في وجه العدو . اما جزيرة العرب فلا تجاوبها كانها تعلم انها اذا مدت اليها يد المعونة سحقتها بقبضتها قبضة الحديد . وكأن الطبيعة حكمت في الآخر بين البلادين فجمعتهما بعد ان اخذت منهما العهود وشهدت عليهما الشهود ان لا تعتدى الواحدة على الاخرى وآنئذ تصافحتا وتعاقدتا على الولاء والصفاء . فاتصلت بلاد ايران ببلاد العربان (١) وعليه يكون

---

[١] انكر بعضهم فصاحة كلة عربان جمع عرب . وقد اخطأوا . فقد جاء في شرح المواقف ٢ : ٥٠٩ قوله العربان والبوادى . العربان جمع عرب . والبوادى جمع باديه بمعنى طائفة نازلة بالباديه . اه . وجاء في معجم ياقوت في كلامه عن ذى قار : « وتجمعت العربان ، مثل بنى عبس وشيبان » ... وقال : ... « ان العربان المجتمعة عند هانئ ابن قبيصة » ... وقال ... فتبعتهم بكر وباقى العربان ... » اه . وقال في اللسان في مادة بذح : قال الازهرى ، وقد رأيت من العربان من يشق لسان الفصيل اللاهج بثناياه فيقطعه وهو الاخزاز عند العرب . » اه وقال في تاج العروس (٣ : ١٠٠) : جزيرة بنى نصر كورة بمصر وهى مقر عربان بلى . » اه . هذا فضلاً عن ان القياس لا يأباه بل يثبته كما قالوا في خرب خربان ونحو ذلك كثير .

خليج فارس من الراس المسنن الى مدالث Delta دجلة العور آء اوشط العرب.

فهذان الساعدان ساعدا بحر الهند اى بحر عمان وبحر فارس يوغلان فى الارض على غور ٢،٥٠٠ كيلومتر ويمكنان البواخر من ان تصل فوهة شط العرب . واذا وصلت هناك جاءت بواخر او سفن اخرى دون الاولى غوصاً فى الماء، ونقلت احمالها على دجلة. ويحمل دجلة السفن النهرية الى ابعد موطن من بين النهرين الا انها لا تصعد الآن الى ماور آء بغداد، لان وادى السلام يحتاج الى ان يكسح عقيقه من الرمال ليكون قابلا لحمل السفن الى حيث مايرام . اما الفرات فانه من بعد ان يصاحب اخاه دجلة ويتفق معه ويتحد به بحيث ان الرائى يظنهما واحداً يخترل عنه وينشعب ويولى مدبراً هائماً على وجهه فى رمال الجزيرة وصحر آء الشامية حتى يخال الناظر اليه انه يريد الهرب الى ديار الشام كانه يقول فى نفسه : بما ان العراقيين لم يقدروا قدرى ولم يعرفوا منزلتى ولا فوائد مياهى ولم ينتفعوا بها فانى فار الى حيث اريد، الى صديق لى فى ديار الشام اسمه العاصى، لنشق كلانا عصا الطاعة على ابناء هذه الديار الذين لا يعنون بالزراعة ولا بالفلاحة ولا بالغراسة ولا ولا ولا .... وكان ناصحاً نصحه فى نهاية الامر الى الرعوى فارعوى اذ قال له: يا اخى لا تترك الوطن، ان الوطن عزيز فارجع اليه. وما كاد يسمع هذا الكلام الا ورجع عن غيه اذ تراه يعود الى نحو اخيه البكر دجلة من قلعة نجم مقابل منبج (١) الى ان يرجع الى منابعه فى ديار الارمن .

ترى مما تقدم بسطه وشرحه ان افتراق النهرين الواحد عن الآخر هو لخير هذه البلاد ليمداها بالماء والنماء. وهذا ما تثبته الاقدمون من اهل الازمان قدماً ولهذا كان للحواضر القديمة: نينوى وبابل والمدائن (اى طيسفون وسلوقية) ولاسيما كركميش شهرة طائرة فى التاريخ . وقد نوه بمجد هذه الاخيرة وعزها وغضارة حضارتها الاخبار القديمة المدونة على صفحات الآجر وصحف المهارق

(١) قد جرينا فى ذكر الفراتين ومتجيهما على خلاف الاصول . فكان يجب علينا ان نسير فى الكلام عنهما سير سيلهما منحدرين من ينابيعهما الى ان تصل مصبهما لكن قضت الاحوال ان نجرى جرى بحر الهند الذى يدفع مياهه مرتفعة نحو الخليج فخالفنا بذلك الاصول المتعارفة عند اهل الفن . ولنا اسوة بمن تقدمنا من اهل البحث حينما يتعرضون للكلام عن بحر الهند وعن تغلغله فى الاراضين على الوجه الذى جرينا عليه والا لما جاز لنا ان نخالف السنن المألوف والنهج المعروف .

اذ روى لنا ان الفراعنة كثيراً ما قارعوا ملوك الاشوريين في كركميش لانهم رأوا حسن موقع تلك المدينة وهي راكبة على مرفق الفرات او منعطفه وقد شارفت من موطنها سقيه وما فيه من الدساكر والرساتيق والقرى والفلاليج والمزارع. وفي الازمان التي هي ادنى الينا اي في عهد الرومان كانت انطاكية الراكبة على العاصي في الموطن الذي يدنو ريف بحر الروم من منعرج الفرات قد نالت من بعد الزهو والثروة والابهة ما حق لها ان تسمى «بملكة الشرق». وما عساني ان اقول عن تلك الحاضرة الزاهرة، بل درة البر الفاخرة، لا بل يتيمة الدهر النادرة، تدمر القاهرة، فلقد كانت انشئت على طريق القوافل، بل في بهرة المراحل، فكانت تتابها او تتغشاها كلما ارادت تغور الشام. او بالعكس كلما ارادت التوجه الى وادي السلام. فهي ايضاً نالت من شامخ العز، وباذخ المجد، ما جعلها شامة في جبين الدهر. ولما دالت الدول، وقلب الزمان ظهر المجن لتلك الحواضر، والمدن الزواهر، ابقت لنا من ذكرها انقاضاً مبعثرة على اديم الارض، يشهد على مكانتها من العمران والحضارة، في القرون المنطوية، بل على مكانة لم تبلغها المدن الجديدة التي انشئت بعدها كالبصرة الفيحاء، وبغداد الحسناء، وديار بكر القورآء، ودمشق الفيحاء، وحلب الشهباء، وغيرها. — نعم انها ورثت من امهاتهن المنقرضات روح التجارة والمبايعة والمعارضة، لكن هيهات ان يصلن ما وصلت اليه تلك الامهات الجليلات. فشتان ما هن، وشتان ما بين الدر والحصى، والسيف والعصا.

ومما تقدم بسطه يتضح ان اصحاب الهند لا يطمحون الى مد اجنحة نفوذهم وسطوتهم على خليج فارس الا ليجاروا الامم السابقة التي اوغلت في الحضارة، ونالت قصب السبق في التجارة. وهذه الاسباب نفسها هي التي حدت بالبرتغاليين الى احراز مفتاح الهند حينما دخلوا هذه الديار الاخيرة ولهذا كنت ترى سفنهم تمخر عباب الهند، وتشق مياه بحر عمان، ثم تغوص في اغوار بحر فارس، لتذهب الى البصرة. ولما كانت تقضي لبانتها كانت تغادر البصرة. فتذهب الى مسقط، الى قاليقوط (كلكتة) الى رامنى اولامرى (سومطرة)، الى جزيرة الوقواق (مدغسكر)، الى جزائر القمر، الى زنجبار، الى سفالة. وهكذا كانت سفنهم تختلف الى بلاد وبلاد وتجمع بين دياز آسية وافريقية وكان كل همهم معاداة غزاة العرب البحريين لانهم كانوا يغيرون على تلك الثغور ويفعلون باصحابهم كما يفعلون باعراب

البوادي. ولهذا كنت ترى بين العرب والبرتوغاليين حرباً عواناً بل طاحنة، طحنت في الاخير ابناء يعرب فاوردتهم حياض المنايا. ودامت تلك الحرب طول القرن السادس عشر بدون ان يمكنوهم من الراحة هنيهة. وما زالوا كذلك حتى ركز قائدهم الكبير البوكرك علم دولته البرتوغالية في مسقط وصحار وذلك في سنة ١٥١٥ وهي سنة دخول النصارى جزيرة العرب بعد ان طردوا عنها سنة ٦٣٤م على يد عمر بن الخطاب. قال البلاذري (ص٦٨) وهو يروي حديثاً معنعناً: «ان رسول الله صلعم قال في مرضه لا يبقين دينان في ارض العرب، فلما استخلف عمر بن الخطاب (رضه) اجلى اهل نجران (وكان اغلبهم نصارى وفيهم ايضاً يهود) الى النجرانية (بناحية الكوفة) واشترى عقاراتهم واموالهم. وقال ايضاً: (ص٦٨) انزلت (هذه الآية) في كفار قريش والعرب: «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله». وانزلت في اهل الكتاب: «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق الى قوله: صاغرون. فكان اول من اعطى الجزية من اهل الكتاب اهل نجران فيما علمنا. وكانوا نصارى. ثم اعطاها اهل ايلة واذرح واهل اذرعات الجزية في غزوة تبوك». اه كلام البلاذري بحرفه. — فترى من هذا ان اول من خالف هذه القاعدة او خرمها هو البوكرك بعد ان مضى ٨٨١ سنة على جزيرة العرب وهي تأبى ان تأوي نصرانياً.

ولما تيسر للبرتوغاليين دخول تلك الديار هان عليهم اخذ غيرها ايضاً فضبطوا هرمز. ثم احتلوا البحرين وحصنوا القطيف بعد ان ملكوه ومدوا ايديهم الى جميع الثغور التي كانت تخدم امانيهم ان على ساحل بلاد ايران وان على ريف جزيرة العرب وحصنوها اشد التحصين. وكل من كان يحاول ان يقاومهم كانوا يذيقونه الامرين او يوردونه حياض المنية وكان الجميع يخافونهم كما يخاف الخشاش والبغاث جوارح الطير وعتاقها. وكانت هرمز احصن تلك القلاع وابقاها بوجه العدو ولذا جعلوها ايضاً خزانة اسلحتهم ومستودع تجارتهم وهي كما تعلم مدينة نابتة في قلب جزيرة تعرف باسمها وهي كالشجا في حلق بحر عمان لا يستطيع ان يسيغها ولا ان ينبذها وهي ايضاً كالشجا في حلق كل داخل بحر عمان اتياً من خليج فارس او كل مقتحم بحر فارس قادماً من خليج عمان

فهي اذن جزيرة بحريه حربيه تجاريه منيعه لا يتيسر للعدو ان يدنو منها ولا ان يناوئ سكانها . هذا فضلاً عن انها متمنطقه بنطاق من الصخور الشبيثيه (١) وهي صخور كاد آه منيعه تطوف بها المياه من كل جانب وتضحك من السحب ضحك مستهزئ لانها تناطحها بروقها وبدقه ما رفع عليها من الابراج والقلاع . اما فناء المدينه فكان حريزاً منذ يوم ولد . دع عنك ما اقام فيها البرتقاليون من الاسوار المخندقه والمتاريس المبرجه والبواشير (٢) والفصلان (٣) التي جعلتها من احصن المواقع في تلك الارجاء حتى انهم كانوا فيها في مأمن ولهذا جعلوا فيها كنوزهم واموالهم وكانت كثيرة لا تحصى.

فهذا كله يريك هرمز موقعاً بديعاً لتوسطه بين ديار العرب وايران والروم والهند وكنت ترى فيها السفن مثلثات مثلثات بين واردة وصادرة بين جائيه وغادية وكلها تحمل هدايا الشرق للغرب او تنقل الطاف الغرب للشرق. هناك كنت ترى الصينيين والهنود . الايطاليين والبورتوغاليين . الايرانيين والعرب . قد امتزجوا امتزاج الراح بالماء القراح . ولهذا كنت ترى البورتوغاليين قد شمخوا بانفهم الى السماء وتسمعهم يقولون: لو كان العالم حلقه ذهب لكانت هرمز درته الفريدة!

الراديوم Le Radium

١ تعريفه

الراديوم هو العنصر الغريب الذي احدث انقلاباً في الطبيعيات اعظم من كل ماتقدمه فانه يتولد من عنصر آخر هو الاورانيوم ويولد عنصر الرصاص ويشع من نفسه حرارة وثلاثه انواع من الاشعه ويبعث غازاً يكسب كل ما اتصل به خاصه الانارة .

---

(١) الشبيثية نسبة الى الشبيث (وزان زبير) وهو جبل بنواحي حلب يجلب منه الى حلب حجارة سود يجلونها رحى لطحنهم ويدخلونها في ابنيتهم تعرف بالشبيثيه (بازلتية Roches basaltiques) قالها ياقوت في معجم البلدان وهي التي يسميها بعضهم اليوم بالقوفا قال في محيط المحيط : القوفا : حجر اسود اسفنجي يتولد ببلاد حلب يعمل منه الرحى اه — (٢) الباشوزة هي مايسميها اليوم بعض جهلة العربية «التابية» او «الطابية» Bastion (٣) الفصلان جمع فصيل وهو حائط قصير دون الحصن او دون سور البلد Courtine ماخوذ من معنى الفصيل وهو ولد الناقه اذا فصل عن امه .